نافورة القصب في نوار نيسان

أحمد أبو طاحون

أصبح الحلم حقيقة بعد حمل دام أياماً وشهوراً، ثم جاءت لحظة الميلاد، وبعد آلام المخاض الشديدة ولدت نوار نيسان.

عندما علمت بموضوع نوار نيسان، تواردت الأفكار إلي رأسي، ماذا سأفعل؟ وأي شيء سأنتقى؟ وكأنني طفل صغير، تبهجه الألوان الحمراء والصفراء والخضراء والزرقاء وألوان الطبيعة الساحرة كافة، حتى استقر رأيي على نافورة القصب. ولا أخفي عليكم أن الفكرة ربما تبدو من الوهلة الأولى سهلة، ولكن تنفيذها كان سهلاً ممتنعاً، ومما كان له أثر إيجابي، ومنحني حافزاً كبيراً، تشجيع زميلتي علا بدوي على العمل على هذه الفكرة.

بداية المشوار

كان أهم ما في نافورة القصب أنها تستخدم خامات محلية من بيئتنا في غزة، مثل القصب المجوف (البوص)، وأواني الفخار المتوفرة بكثرة في منطقة الفواخير. ولهذا، بدأت رحلة البحث عن أفضل أنواع القصب، وبعد جهد وجدت ما أريد. وبدأت بقص القصب، قصبة قصبة، وواحدة تلو الأخرى، من منطقة الجذر، وضمن مواصفات معينة، بحيث تكون طويلة وسميكة، لونها جذاب يميل إلى الأصفر الذهبي، فكانت القصبة الواحدة يتجاوز طولها سبعة أمتار، وعندما قصصتها ربطتها بحبل ومشيت بها في الشارع وصولاً إلى بيتي، وبدأ الناس ينظرون إلي، فمنهم من نظر نظرة متعجب، وآخر نظرة مفكر وكأنه يقول ماذا يفعل هذا الرجل بهذه القصبات التي لا تسمن ولا تغني من جوع، حتى وصلت إلى شقتي، وشعرت أنني قطعت مشواراً طويلاً.

أردت أن أدخل القصبات إلى الشقة، ولكن بعد محاولات فاشلة خطر لي في أن أدخلها عبر الشباك، حيث أنني أسكن في الطابق التاسع فقمت بربطها بحبل طويل ثم صعدت إلى البيت، وبدأت بسحبها. وبينما كنت أسحبها لمعت في ذهني صورة العلماء وهم يتعبون ويثابرون في الوصول إلى غاياتهم.

مثلاً عالم الوراثة مندل، رسب في الامتحان مرتين، مدام كوري صريعة التسمم الراديومي، العالم باستير الخائب في الكيمياء يعد رسالتي دكتوراه فيها، أديسون مخترع المصباح الكهربي جرب 600 نوع من أنواع الفتائل كلها فشلت، والرقم 601 هو الذي نجح، آينشتاين صاحب نظرية النسبية فاشل في الدراسة ويعاني بطئاً في التفكير.

ثم بدأت معركتي مع القصب، فقمت بإزالة الزوائد، ثم تقشير القصبة، ثم تقطيعها بمقاسات معينة.

جانب من مشاركة الأطفال في فعاليات مهرجان نوار نيسان، غزة 2016.

المشكلة الكبرى

المشكلة الكبرى التي واجهتها هي كيف أجعل الماء الخارج من القصبة ينزل بالضبط في فتحة القصبة وهي تتحرك، حتى يزيد وزن أحد طرفيها فتميل إلى الجهة نفسها وتفرغ ما بها من ماء، ثم تعود إلى وضعها السابق نفسه لتضع فمها تحت تيار الماء مرة أخرى، وهكذا تستمر الدورة، علماً أن هذه القصبة مثبتة على محور ارتكاز قابل للحركة والدوران، ولن تعود القصبة المتحركة إلى وضعها الأول إلا بتأثير ثقل وضعته في نهاية القصبة، حتى يحدث توازن بين وزن الماء ووزن الثقل الموجود في نهاية القصبة.

جانب من مشاركة الأطفال في فعاليات مهرجان نوار نيسان، غزة 2016.

بين الطلاب

عندما طرحت الفكرة على طلاب المدرسة التي أعمل فيها، وطلبت منهم أفكاراً حول كيفية عمل النوافير، تفاجأت بأوراق تحمل الكثير من الأفكار الجميلة، بل إن مجموعة من الطلاب أحضروا صينية كبيرة وبنوا عليها من الطين شكل نافورة، وعملوا لها فتحات لدخول الماء وخروجه. عندها أحسست أن البذرة الصغيرة تنمو وتكبر طالما وجدت الرعاية والعناية والأرض الخصبة والأفق الواسع الرحب تحت شمس الحياة.

كاميرا الذاكرة

هذه الصور حفرت في ذاكرتي، ولا يمكن أن تنسى، ربما البعض يوافقني الرأي، والبعض الآخر لا يوافقني.

الصورة الأولى (طعم النجاح)

وهل للنجاح طعم مثل الشاي والقهوة والعصير، بل لا أبالغ إن قلت إن للنجاح طعماً آخرَ مختلفاً عن كل الطعوم التي نعرفها، فالذي نجح في أي شيء بالتأكيد يعرف هذا الطعم. لا أنسى لحظة تشغيل النافورة بعدما صنعتها فشعرت لحظتها أن التعب وسهر الليالي الذي أنهكني قد زال لحظتها، وأحسست بطعم النجاح كأنني تذوقته، وأن كل قطرة تصبها القصبة الكبيرة في القصبة الصغيرة وهي تتأرجح في الهواء تغسل تعب الليالي.

الصورة الثانية (إحساس أكيد)

في أحد الاجتماعات الخاصة بنوار نيسان قلت لزميلتي علا بدوي، عندي إحساس بأن المهرجان سوف ينجح نجاحاً كبيراً، ونجح فعلاً بفضل الله.

الصورة الثالثة (لحظة الفرحة)

عندما رأيت الناس يتدفقون إلى أرض المهرجان كباراً وصغاراً، رجالاً ونساء، شباباً وشابات، أولاداً وبنات، والبهجة تلمع في عيونهم، يريدون أن يعرفوا ما الذي يحدث بشغف وفضول عجيب، شعرت أننا أصحاب عرس كبير أنا وزميلاتي وزملائي ونريد أن نكرمهم غاية التكريم، ونريهم أفضل ما لدينا.

الصورة الرابعة (إصرار العامل)

أحد العمال في مكان العرض أعجبته فكرة نافورة القصب، وألح بإصرار علي أن يحتفظ بواحدة من النوافير التي صنعها الطلاب، وقد تحقق له ذلك.

الصورة الخامسة (هل هو موجود؟)

أثناء العمل في المهرجان، استغرب بعض الزوار قائلين :من أين أتيت بهذا القصب المجوف، متسائلين في دهشة: هل هو موجود في غزة؟

ما أتمنى#

أتمنى أن تتكرر مثل هذه المهرجانات والاحتفالات الهادفة، حتى يجد أطفال غزة، خاصة، وشرائح الشعب الفلسطيني كافة، الفرح والبهجة والمتعة والإثارة، لعلها تفتح أبواباً جديدة للتفكير، ربما لم تكن موجودة في الأصل، فأنا أؤمن بأن الأفكار تولّد الأفكار، ومن لا يعمل لا يجد طعم للسعادة.

معلم في مدرسة ذكور الرمال الإعدادية «ب»